

الأُنقياء

إبراهيم بن عبد الله الدويش

تقديم فضيلة الشيخ العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

(ح) دار الفنون للطباعة والنشر ، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدويش ، ابراهيم بن عبد الله بن صالح

الأنقياء - جدة.

٨٢ ص : ١٢ × ١٧ سم

ردمك ٢-٤-٩١٦٦-٩٩٦٠

١- الأخلاق الإسلامية ٢- الفضائل الإسلامية أ - العنوان

٢٠/٠٩٨١

ديوي ٢ ، ٢١٢

رقم الإيداع : ٢٠/٠٩٨١

ردمك : ٢-٤-٩١٦٦-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ

حقوق الطبع محفوظة

إلا أن أراد طبعه وتوزيعه لوجه الله تعالى

أحمد الله وأشكره وأثني عليه واستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله ولا رب لنا سواه ولا معبود بحق إلا إياه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد فقد قرأت هذه الرسالة القيمة التي بعنوان (الأنقياء) جمعها وصنفها أخونا الشيخ إبراهيم الدويش ولقد أجاد فيها وأفاد وبين الكثير من أهل هذا الزمان الذين امتلأت قلوبهم من الحقد والغل والحسد على إخوانهم الصالحين من عباد الله الذين أصلحوا أعمالهم وأخلصوا لربهم وقاموا بواجبهم وعبدوا الله وحده ولم يظهر منهم ما يخل بالشرف أو يقدح في العدالة أو ينافي المروءة فأخذوا يكبلون لهم التهم ويسينون بهم الظن ويتبعون عثراتهم فيجعلون من الحبة قبة ويحملون كلامهم على أبعد المحامل حسداً من عند أنفسهم :

جسدوا الفتى إذ لم يتألوا سعيه فالقوم إعداء له وخجوم

كخراثر الجسنا قلر لوجهها جسداً وبغياً إنه لجديم

وقد قال النبي ﷺ يامعشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المؤمنين ولا تتبعوا عوارثهم فإن من تتبع عوارثهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته (ذكره في جامع الاصول ٦/٦٥٣ بمدة روايات) وقد ظهر من الصور التي ذكرها في هذا الكتاب ما كا عليه السلف رحمهم الله تعالى من محبة اخوانهم ونقاء لقوبهم وصفاء مودتهم وتفاضيلهم عن هفواتهم وزلاتهم وسترهم لعوراتهم وذكرهم لمحاسنهم وكفهم عن مساوئ اخوانهم والتماس العذر لهم والحث على المودة وصدق المحبة لهم وذلك هو دأب المؤمنين المحسنين في كل زمان ومكان فعسى أن يتراجع إخواننا في هذا الزمان ويتوبوا إلى ربهم وينقوا قلوبهم لكل مسلم حي أو ميت وترحموا على أموات المسلمين وينشروا محاسنهم ويحذروا من أخطائهم مع الاعتذار عنهم بقدر الإمكان فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

كتبه عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

التوقيع ٣ / ٣ / ١٤١٩ هـ

أحمد الله وأستكره وأثنى عليه وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله
ولا ربنا سواه ولا معبود سواه إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه

ونجد منقذات هذه الرسالة القيمة التي بعنوان: (الأتقياء)
جمعها وصنفها أخونا الشيخ إبراهيم الدويش ولدت أجدادها وأفاد
وسبب الكثير من أهل هذه الزمان الذين امتلأت قلوبهم من المحبة والغل
والحسد على أخوانهم الصالحين من عباد الله الذين أصلح أعمالهم وأخلصوا
لربهم وقاموا بأمرهم وعبدوا الله وحده ولم ينظروا في شرف أو بقية في الدنيا
أو في الآخرة فأخذوا يكيلون لهم التهم ويشتبهون بهم الظن ويتبعون أثراتهم فيجملون
من المحبة قبة ويحسدون كلامهم على أبعاد الحامل حسدا من عند أنفسهم:

حسدوا القتي إذا لم ينالوا سعيه فانقوم أعداؤه وحسدوا
كسفاؤا الحسناء قلن لوجوهها حسدا وبغيا أنه لم يم

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يفتن الإيمان إلى قلبه لا تزادوا
المؤمنين ولا تتبعوا أعوارهم فإن من تتبع أعوارهم تتبع الممخوررة من تتبع الممخوررة
ليصلحوا ولو في يوم بغيره ذكره في جامع الأصول ٦/٦٥٣ بعدة روايات وقد ظهر من تفسيره التي ذكرها في هذا
الكتاب ما كان عليه السلف من جمعهم المرفوع من محبة أخوانهم ونقاء قلوبهم وصدقهم وتغافلهم
عن هفواتهم وزلاتهم واستترهم لعوراتهم وذكرهم لمخاسنهم وكفهم عن مساوئ أخوانهم والناس
الذين لهم والمخاض المودة وحسدوا المحبة لهم وذلك هو أدب المؤمنين الحقيقيين في كل زمان ومكان
فمضى أن يتراجع أخواننا في هذه الزمان ويتروا إلى ربهم ويتقوا قلوبهم بكل مسلم حي أو ميت
ويترحموا على أسوأ المسلمين ويشتروا محاسنهم ويحذروا من أنطوائهم مع الاعتدال بعينهم بقدر المكان
فإنهم قد أفضوا إلى ما قد سواوا الله المرفوعة الهادي إلى سواء السبيل وعلى العلى لله وآل وصحبه وسلم

كتبه عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبوري
٢١٤٩/٣١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من
شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له،
ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا
شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله^(١) صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها الأحبة، عنوان هذا اللقاء^(٢) وهذا الموضوع هو
«الأنقياء» أو إن شئت فقل: «سلامة الصدر مطلب» وهذا
الموضوع هو ثالث ثلاثة. فقد سبقه درس بعنوان:
«الأخفاء» وسبقهما درس آخر بعنوان: «الأتقياء»، وإن

(١) هذه هي خطبة الحاجة مع زيادة الآيات الثلاث، أخرجها مسلم
برقم (٨٦٨) وأحد ١/٣٩٢، ٤٣٢ وابن ماجه برقم (١٨٩٢)،
وأبو داود برقم (٢١١٨) والترمذي (١١٠٥) والنسائي (١٤٠٤)
و(٣٢٧٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أصل هذه الرسالة درس ألقى في مدينة الرس في ٤ / ١٢ / ١٤١٤ هـ.
ضمن سلسلة الدروس العلمية العامة والتي ينظمها المكتب
التعاوني بالرس.

كان درسا «الأتقياء والأخفياء» أصلهما هو حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»^(١) كما تقدم بيانه في الموضوعين السابقين، فإن أصله هذا الموضوع أيضاً هو حديث أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب الورع والتقى من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال ﷺ: «كل مخموم القلب صدوق اللسان». قالوا: صدوق اللسان نعرفه. فما مخموم القلب؟ قال ﷺ: «هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد»^(٢) وقال البوصيري في الزوائد^(٣): «إسناده صحيح

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٦٥)، وأحمد (١/١٦٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٢١٦) والبيهقي في الشعب (٥/٢٦٤) برقم (٦٦٠٤)، وعزاه الزبيدي كما في تخريج الإحياء (٤/١٥٤٢) للطبراني في الكبير، وأبي نعيم في الحلية وأحمد في الزهد عن أسد بن وداعة مرسلًا.

(٣) مصباح الزجاجة للبوصيري ٢٩٩/٣.

ورجاله ثقات». والحديث أيضاً أخرجه الطبراني في معجمه، وأبونعيم في الحلية والبيهقي في الشعب وفيه زيادة، وذكره الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع^(١). ومعنى مخموم: من خمت البيت إذا كنسته. ولذلك بين النبي ﷺ في هذا الحديث: أن النقي هو الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد.

فقلت في نفسي وأنا أتدبر هذا الحديث: ما أوجنا لمثل هذا النقي في مثل هذا الزمن الذي اتصف بكثرة الخلاف والنزاع والفرقة، فامتلأت النفوس وأوغرت الصدور، فلا تسمع إلا كلمات التنقص والازدراء وسوء الظن والدخول في النيات والمقاصد فما هي النتيجة:

«إن خوطبوا كذبوا.. أو طولبوا غضبوا.. أو حوربوا هربوا.. أو صوحبوا غدروا.. على أرائكهم سبحان خالقهم.. عاشوا وما شعروا.. ماتوا وما قبروا». إذاً فالنتيجة، أصبح المسلمون أحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا

(١) انظر الصحيحة رقم (٩٤٨) وصحيح الجامع (٣٢٩١).

لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿١﴾ لا بل كل حزب من الآخر ينتقصون، فلا نسمع سوى تقسيم الناس وتصنيفهم. ففرح المنافقون وهم لها باذرون وساقون وراعون. وصدق الله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٢﴾. وأستغفر الله أن أعم، ولكنها فتنة طمت وعمت. فأقول ما أحوجنا لمثل هذا النقي، فأخذت أقلب صفحات السير والتراجم للوقوف على حياة أولئك الأنقياء وتتبع أحوالهم وصفاتهم، فوجدت العجب، ومن العجب الذي وقفت عليه أن من صفاتهم أنهم حرصوا - رضوان الله تعالى عنهم - على تنقية قلوبهم من الحقد والحسد.

فالأنقياء لا يعرفون الانتقام ولا التشفي، ويتجاوزون عن الهفوات والأخطاء.

الأنقياء يتثبتون ولا يتسرعون.
الأنقياء سليمة قلوبهم نقية صدورهم.

(١) سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

الأنقياء يحبون العفو والصفح وإن كان الحق معهم.
الأنقياء ألسنتهم نظيفة، فلا يسبون ولا يشتمون.
الأنقياء صفاء في السريرة ونقاء في السيرة. دعاؤهم: «اللهم قنا شح أنفسنا، اللهم قنا شح أنفسنا» ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١﴾.
وستقرأ كثيراً من المواقف التي تبرهن على ما أقول.
ولكن خاطب النفس وقل لها:

ويحك يا نفس احرصي
على ارتياد المخلصين
وطاوعهم وأخلصي
واستمعي النصيح وعي
واعتبري بمن مضى
من القرون وأنقضى
واخشي مفاجأة القضا
وحاذري من أن تخدعي

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

لماذا الحديث عن الأنقياء؟

أخي الحبيب: أيها الأخ المسلم يا من نلتقي وإياك على لا إله إلا الله. أدعوك وأنت تقرأ هذه الكلمات، أدعوك إلى التجرد من الهوى وترك حظوظ النفس. تجرد من حب التصدر والزعامة. تجرد من التعالم، وتجرد من الكبرياء والغرور ومن الحقد والحسد، تجرد من كل الأمراض القلبية. فإنني أريدك أن تقرأ كلماتي بقلب سليم، بقلب ذلك المسلم الطيب التقي النقي، فأنت خلقت لعبادة الله ومرضاته وطلباً لجناته.

أيجوز يا أخي الحبيب لمن كان هذا هو هدفه ومقصده من هذه الدنيا أن يغفل عن قلبه فيطلق لهذه المضغة العنان في البغضاء والشحناء، والانتقام والتشفي.

أخي الحبيب أيها المسلم: لماذا أصبحنا نسمع كلمات الذم أكثر من سماعنا لكلمات الثناء؟! لماذا أصبحنا نسمع كلمات التنقص أكثر من سماعنا لكلمات الثبوت؟! كيف

غفلت عن هذه المضغة التي «إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله»^(١).

(١) جزء من حديث عند البخاري برقم (٢٠٥١، ٥٢) ومسلم (١٥٩٩) وأحمد (٢٦٩/٤ - ٢٧٠) وأصحاب السنن الأربعة.

ماذا نريد؟

سلامة الصدر، طهارة القلب، صفاء النفس: كلمات نادرة الاستعمال وعزيزة الذكر، لا نكاد نسمعها في مجالسنا ومنتدياتنا. موضوعات كثيرة تلك التي نتحدث عنها لكنها لا تخلو من غيبة ملبسة بلباس النصيحة، أو من حديث يشفي الغليل ويُرضي الخليل، أو من همز ولمز وانتصار للنفس. فيا من في قلبك خوف من الله عز وجل: إننا نريد أن نسمع كلمات الحب والإخاء، والصدق والوفاء، والنصح والصفاء، نريد أن نسمع كلمات الشكر والعرفان، وذكر الفضل والإحسان، نريد أن نسمع عن جمع القلوب، وعن توحيد الكلمة، وعن الإصلاح بين الناس، وكل ذلك وللأسف في مجالسنا عزيز. إنني أصغي سمعي لعلني أسمع إلى التماس الأعذار، وذكر محاسن الأبرار، فيرتد سمعي خاسئاً وهو حسير - إلا ما شاء الله -، ولكنني كلي أمل فيكم يامن تقرأون كلماتي، وأمل في الله، ثم في مشايخي وأساتذتي وإخواني الدعاة وشباب الصحوة خاصة، وجميع المسلمين

عامّة، كلي أمل أن نهضم أنفسنا ونعرف قدرها، وأن نحمل على عاتقنا نشر هذا الموضوع - سلامة الصدر - وإكثار الحديث عنه وتكراره في كل مكان وعلى كل لسان، لا نمل الحديث عنه أبداً، بل نجعله شعاراً لنا في كل ميدان: في ميدان العلم، وفي ميدان البيع والشراء، وبين الرجال والنساء، وبين العامة والخاصة. في مدارسنا وفي جامعاتنا، في أسواقنا، في مجالسنا وبيوتنا. فلنملأ قلوبنا بخوف الله عز وجل، وحب الخير للآخرين، فإننا نشعر بقسوة القلب وامتلاء النفس، وجفاف العين من الدمع. ليكن هجير كل واحد منا: اللهم إني أسألك قلباً سليماً. ولنردد كثيراً وفي كل لحظة ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١).

هذا ما نريد، فهل نستطيع؟ لنحاول ولنجاهد أنفسنا، فإن العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم. ولعل هذه الأسطر تكون عوناً لك، نسأل الله العون للجميع.

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

● عناصر هذا الموضوع:

- ثلاثة قبل البداية.
- القرآن يدعوك.
- صور مشرقة في عالم الصفاء والنقاء.
- تكامل الشخصية في حياة السلف.
- نتائج سلامة الصدر ونقاوة القلب وآثاره.
- أسباب امتلاء الصدر وغل القلب، وكيف السبيل إلى سلامة الصدر وتنقية القلب.
- ثلاثة قبل النهاية.

ثلاثة قبل البداية

- أما ثلاثة قبل البداية، فتنبه لها جيداً، وأرعني قلبك -
بارك الله فيك -

فالأولى: راجع نفسك بعد قراءة هذه الكلمات، واعلم أن الكلام موجه إليك لا لغيرك وأرجو أن تتهم نفسك، واحسب أن الآخرين من المسلمين خير منك عند الله تعالى: «فرب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره»^(١). لا تنظر إلى نفسك بنظرة الزهو والفخر والارتفاع، فكم من مسكين خير منك عند الله، وكم من عامي هو خير منك عند ربك ربما، بينما أنت مازلت تنظر لنفسك في عجب وفي كبر والعياذ بالله.

(١) أخرجه الحاكم (٣٢٨/٤)، وعند الترمذي (٣٨٥٤) بلفظ «كم من أشعث أغبر» وصححه الألباني في مشكلة الفقر برقم (١٢٥).

يا أخي الحبيب: أما سمعت لقول بكر بن عبدالله المزني - وهو واقف بعرفة ينظر إلى الناس - لا إله إلا الله لولا أني فيهم لقلت قد غفر الله لهم^(١).

يقول الذهبي معلقاً على هذه العبارة في السير^(٢).
«كذلك ينبغي للعبد أن يُزري على نفسه ويهضمها». اهـ.

الأمر الثاني: اعلم أن سلامة الصدر وتنقية القلب مطلب عزيز، والحرص عليه واجب، وبذل الأسباب إليه وسلوك طريقه متعين. ولكن لا تنس أن الناس بشر، وأن النفس ضعيفة. فلا بد من الخطأ، ولا بد للنفس أن تتأثر فتنبه لهذا، وعامل الآخرين بحسبه. ولهذا يقول سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى -: «إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، ومن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله»^(٣).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٠٩/٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥٣٤/٤).

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي (٨١/٢)، والبداية والنهاية لابن كثير =

سامح أخاك إذا خلط
منه الإصاابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه
إن جاف يوماً أو قسط
واعلم بأنك إن طلب
ت مهذباً رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط
ثالثاً: لست بالخب ولا الخب يخدعني^(١).

لا ينافي سلامة القلب والأخذ بالظاهر، ولكنه يعني الحيلة والحذر، فعليك أن تكون فطناً متنبهاً. فالله سبحانه وتعالى يقول للمؤمنين ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾^(٢) ويقول

(١) (١٠٧/٩) سنة (٩٤) هـ.

(٢) هذه الجملة مما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر:

سراج الملوك للطبرطوشي ص ٥٦، والروح لابن القيم: ت

الجميلي ص ٣٦٢ في باب «الفرق بين سلامة القلب والبله».

(٢) سورة النساء، الآية: ٧١.

سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(١).
 بعد هذه الثلاثة والتي أرجو أن تنتبه لها جيداً لتراجعها
 في نفسك فكلنا بحاجة لها أقول:
 ● إن القرآن يدعونا جميعاً، يدعونا في أكثر من سورة وفي
 أكثر من آية لمثل هذا الموضوع. إن قرآننا هو كلام ربنا وهو
 دستور حياتنا، وهو منبع صفاتنا، وميزاننا الذي نحتكم
 إليه عند خلافنا، بل في حياتنا وأمورنا.
 وها هو القرآن يدعوك لبراءة القلب من الغل للذين
 آمنوا. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا
 تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢). والقرآن يدعوك فيقول:
 ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٣). والقرآن
 يدعوك فيقول: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾^(٤).

(١) سورة الروم، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

والقرآن يدعوك فيقول: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ﴾^(١). والقرآن يدعوك فيقول: ﴿وَلِإِنْ
 تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).
 والقرآن يدعوك فيقول: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ
 الْجَمِيلَ﴾^(٣). والقرآن يدعوك فيقول: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ
 وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾^(٤).
 والقرآن يدعوك فيقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ
 عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥). والقرآن يدعوك
 فيقول: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٦).
 وأخيراً القرآن يا أخي الحبيب يدعوك فيقول: ﴿وَلْيَعْفُوا

(١) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٤.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٨٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ٨٩.

وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ؟^(١) «ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟» بلى والله إنا نحب أن يغفر لنا ربنا، قالها أبوبكر الصديق^(٢) - رضي الله تعالى عنه وأرضاه - مع سخاء نفسه وسلامة صدره ونصحه للأمة، فماذا نقول نحن وهذه حالنا مع قلوبنا؟!

أخي الحبيب: هلاً وقفت مع هذه الآيات وتدبرتها جيداً. إن القرآن يدعوكم ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا﴾^(٣) أسمعت جيداً هذه الآيات؟! تدبرها وقف معها طويلاً فكم من الخلاف يقع بيننا وبين أصحابنا، وكم من المشاجرات والخصومات تقع بيننا وبين الناس، وإذا رجعنا للقرآن وجدنا هذه الآيات

(١) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٢) قالها أبوبكر الصديق في قصة الإفك التي أخرجها البخاري برقم (٤٧٥٠، ٤١٤١) وانظر أطرافها فيه (٢٥٩٣)، ومسلم (٢٧٧٠) والترمذي برقم (٣١٨٠) وانظر السيرة لابن هشام (٢/٢٩٧، ٣٠٧) وزاد المعاد (٣/٢٥٨).

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٤.

تعدونا إلى العفو والصفح عن المؤمنين وعن الناس ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١). تدبر قوله: ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ فما أعظم هذا الأجر فهو من مالك الملك جلا وعلا. فلما تحرم نفسك هذا الأجر؟؟!

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

صور مشرقة في عالم الصفاء والنقاء

قلِّبتُ صفحات التاريخ ونظرت في كتب السير والتراجم. فوجدت عجباً! فيعلم الله إن العين لتدمع والإنسان يقرأ مثل هذه المواقف. يا للعجب! أهؤلاء بشر؟! ما أنقى قلوبهم؟! وأين قلوبنا من هذه القلوب؟! وقبل أن أبدأ وإياك بذكر هذه الصور لا تنس أن من أراد فهم هذه الدرجة من تنقية القلب وسلامة الصدر كما ينبغي فلينظر أولاً إلى سيرة النبي - ﷺ - مع الناس يجدها مليئة، بل يجد هذه الدرجة بعينها، ولم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه - ﷺ - (١).

- ثم تعال للصورة الأولى: (وهي التي لا تطاق).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس قال: كنا جلوساً مع النبي - ﷺ - فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من

(١) انظر الشمائل المحمدية للترمذي، وأخلاق النبي ﷺ لأبي الشيخ، الأصبهاني، والشفاء للقاضي عياض. وغيرها.

أهل الجنة». فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه بيده الشمال. فلما كان من الغد قال رسول الله - ﷺ - مثل ذلك، فطلع الرجل مثل المرة الأولى. فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله - ﷺ - مثل مقالته أيضاً.

فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. فلما قام رسول الله - ﷺ - تبعه عبدالله بن عمرو - أي تبع الرجل - فقال للرجل: إني لاحتيت أبي - أي وقع بيني وبين أبي خصومة - فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تأويني إليك حتى تمضي، فعلت. قال الرجل: نعم. قال أنس: فكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار (تقلب على فراشه) ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبدالله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحترق عمله. قلت: يا عبدالله، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله - ﷺ - يقول لك ثلاث مرات: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلعت أنت الثلاث مرات. فأردت أن آوي إليك لأنظر ما

عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كبير عمل. فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله - ﷺ -. قال - أي الرجل -: ما هو إلا مارأيت. قال عبدالله: فلما وليت دعاني فقال الرجل: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. قال عبدالله: فهذه التي بلغت بك، وهي التي لا تنطق»^(١).

(١) رواه أحمد (١٦٦/٣) وفي الفتح الرباني (٢٣٩/١٦)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ٤٩٣ برقم (٨٦٣) والزهد لابن المبارك ص ٢٤١، وعبد الرزاق (٢٨٧/١١) والطبراني في معارج الأخلاق برقم (٧٢). والبزار كما في كشف الأستار (٤٠٩/٢) (١٩٨١) والبيهقي في الشعب (٢٦٤/٥ - ٢٦٥). وانظر مجمع الزوائد. قال المنذري في الترغيب (٥٤٩/٣) ت: «عمارة: «إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم والنسائي». وقال العراقي في تخريج الإحياء (١٨٣٦/٤) برقم (٢٩١٤): «رواه أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين». وأعله الحافظ المزي في تحفة الأشراف (٣٩٥/١). وكذا ابن حجر في التكت عليها إذ قال: «وقد ظهر أنه معلول».

قال ابن كثير: رواه النسائي في اليوم والليلة عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به. وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين، لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس. فالله أعلم^(١).

أسمعت أيها الأخ الحبيب: «غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه».

إن قلب المؤمن المطمئن بذكر الله، النابض بحلاوة الإيمان، لا يحتمل أبداً أن يحمل بين جنباته حقداً على أحد من المسلمين. إن من كان في قلبه إيماناً صادقاً، لا يحتمل أبداً أن يحمل حقداً على أحد من إخوانه. أرايتم معاشر الإخوة: كيف أن تنقية القلب، وتنقية الصدر من الغل والأحقاد والحسد والغش للمسلمين، كيف كان سبباً

أما تعيين الصحابي ففيه كلام طويل يراجع تخريج العراقي السابق، وكتاب الرسول المعلم ص ١٨٠ - ١٨١ لأبي غدة.
(١) تفسير ابن كثير (٥٢٧/٤)، سورة الحشر، الآية: ٩.

لدخول الجنة. هذا الرجل لم يكن يقوم الليل، ولم يكن له كبير عمل، ولكن العمل الذي كان سبباً في دخوله الجنة: هو أنه لا يجد في نفسه حسداً لأحد. وليس في قلبه غشٌّ على أحد من المسلمين. الله أكبر! متى تتحقق هذه الصفة في المسلم الذي يركع ليله ونهاره طالباً مرضاة الله وطالباً جنان الفردوس! أين العبادة؟ أين الزُّهَّاد من هذا الفعل؟ كم نجاهد أنفسنا على الصلوات والصدقات والصيام وغيرها من الأعمال والعبادات. ولكن الأمر ليس بكثرة صيام ولا صلاة ولا صدقة، إنما بشيء وقر في القلب: الصدق مع الله، وسلامة الصدر، وتنقية هذا القلب من الغل والحقد والغش للمسلمين.

الصورة الثانية:

(أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟)

أخرج أبوداود في الأدب باب: في الرجل يحل الرجل قد اغتابه، والطبراني في مكارم الأخلاق باب: فضل كظم الغيظ. وأخرجه أيضاً ابن السني في عمل اليوم والليلة باب: ماذا يقول إذا أصبح. ثلاثهم من حديث قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم. قالوا: ومن أبو ضمضم يا رسول الله؟ قال: «رجل كان إذا أصبح يقول: اللهم إني قد وهبت نفسي وعرضي. فلا يشتم من شتمه، ولا يظلم من ظلمه، ولا يضرب من ضربه» هذا لفظ الطبراني وابن السني وهو ضعيف. وأخرجه أبوداود من وجه آخر موقوف على قتادة. وأخرجه البخاري أيضاً في التاريخ في ترجمة محمد بن عبد الله

العمي^(١). وقال ابن حجر^(٢): «وقد أخرجه أبو بكر البزار

(١) لهذا الحديث أربع طرق:

- الأول: ما رواه أبو داود برقم (٤٨٨٧) والعقيلي ٩٣/٤ من طريق حماد بن سلمة عن ثابت - أي البتاني - عن عبد الرحمن بن عجلان مرسلاً.

- الثاني: ما رواه أبو داود برقم (٤٨٨٦) من طريق عمر عن قتادة من قوله.

- الثالث: ما أخرجه البخاري في تاريخه (١٣٧/١) والعقيلي (٩٣/٤) والبزار من طريق محمد بن عبد الله العمي ثنا ثابت عن أنس مرفوعاً.

- الرابع: ما أخرجه الطبراني في معارج الأئمة برقم (٥٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٥) من طريق عمران عن قتادة عن أنس مرفوعاً.

قال أبو داود في سننه: وحديث حماد أصح. يعني الطريق الأول. وقال ابن حجر في نتائج الأفكار ٣٩٥/٢: فتحصلنا من ذلك على أن الطريقين الموصولين (يعني الثالث والرابع) شاذان، وأن المحفوظ عن قتادة مقطوع (أي الطريق الثاني) وعن ثابت مرسلاً (أي الطريق الأول).

(٢) تنبيه: القائل هنا: ابن حجر، وقد ذكرته في الشريط من قول البخاري، وهو سهو مني لتداخل الكلمات، نبهني إليه أحد الإخوة الفضلاء جزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء.

في مسنده والعقيلي - أي في الضعفاء - وكذلك الساجي والبيهقي في الشعب^(١). وقال الألباني في الإرواء عن هذا الحديث: «والمحفوظ عن قتادة. وإسناده صحيح إلى قتادة»^(٢) ثم ذكره في صحيح أبي داود وقال: «صحيح مقطوع»^(٣).

أرأيت صفة أبي ضمضم هذا. اسمع ماذا قال عنه ابن القيم - رحمه الله تعالى -: والجود عشر مراتب. ثم ذكرها. فقال: والسابعة: الجود بالعرض. كجود أبي ضمضم من الصحابة - رضي الله عنهم - كان إذا أصبح قال: اللهم لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي، فمن شتمني أو قذفني فهو في حل. فقال النبي ﷺ: «من يستطيع أن يكون منكم كأبي ضمضم». وفي هذا الجود من سلامة الصدر وراحة القلب من معاداة الخلق ما فيه^(٤).

(١) نتائج الأفكار (٢/٣٩٤).

(٢) إرواء الغليل للألباني (٨/٣٣).

(٣) صحيح أبي داود (٣/٩٢٤).

(٤) في المدارج (٢/٢٩٣ - ٢٩٥) ت: الفقي.

الصورة الثالثة:

(ما عندي إلا عرضي)

وقد أخرج هذا الحديث البزار كما في كشف الأستار في كتاب الزكاة باب: فيمن تصدق بعرضه. وانتبه أيضاً للترجمة «باب: فيمن تصدق بعرضه». أخرجه من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ حث يوماً على الصدقة. فقام علبه بن زيد. فقال: ما عندي إلا عرضي - فإني أشهدك يا رسول الله أني تصدقت بعرضي على من ظلمني ثم جلس. فقال رسول الله ﷺ: «أين علبه بن زيد؟» قالها مرتين أو ثلاثاً. قال: فقام علبه. فقال: «أنت المتصدق بعرضك قد قبل الله منك»^(١).

(١) كشف الأستار (٤٥٥/١) برقم (٩٥٨) والخطيب في الأسماء المبهمة ص ٢٣٥ برقم (١١٨) والمستفاد لابن العراقي (٥٠٥/١) برقم (١٨٩) والإصابة لابن حجر (٤/١١٢)، (٥٠١/٢).

قال الهيثمي^(١): «رواه البزار وفيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف». وأيضاً رواه البزار من حديث صالح مولى التوأمة عن علبه بن زيد قال: حث رسول الله ﷺ على الصدقة. فقام علبه فقال: يا رسول الله: حثت على الصدقة وما عندي إلا عرضي. فقد تصدقت به على من ظلمني. قال: فأعرض عنه. فلما كان اليوم الثاني. قال: أين علبه بن زيد، أو أين المتصدق بعرضه، فإن الله تبارك وتعالى قد قبل ذلك منه»^(٢). أو نحو ذلك. وهذا أيضاً قال عنه الهيثمي: «رواه البزار وفيه محمد بن سليمان بن مسمول وهو ضعيف». كما في مجمع الزوائد.

ولحديث علبه شاهد صحيح إلا أنه لم يُسم فيه. ذكره ابن حجر في الإصابة (٢/٥٠٠) من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة «أن رجلاً من

(١) مجمع الزوائد (٣/١١٤). والصواب أن «كثيراً» هذا متروك كذبته الشافعي وأبوداود وابن حبان.
(٢) كشف الأستار (٤٥٥/١ - ٤٥٦) برقم (٩٥٩).

المسلمين قال: «اللهم إنه ليس لي مال أتصدق به، وإني جعلت عرضي صدقة». قال: فأوجب النبي ﷺ أنه قد غُفِرَ له^(١).

إذاً: فانظر لحال صحابة رسول الله ﷺ، هذا أبوضمضم، وهذا علبة بن زيد، وغيرهم كثير كانوا يتصدقون بأعراضهم - رضوان الله تعالى عليهم - يعفون ويصفحون عن سبهم أو شتمهم أو ضربهم أو اغتابهم أو ذكرهم في شيء لا يرضونه. فماذا نقول عن أنفسنا أيها الأحبة.

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب (١١٢/٤) بهامش الإصابة: أظنه أباضمضم قال ابن حجر: وما توهماه - ابن عبد البر والحاكم أبواحد - من أن الصحابي في حديث أبي هريرة هو أبوضمضم خطأ، بل هو علبة بن زيد الأنصاري.

الصورة الرابعة:

(بئس ما قلت، والله ما نعلم إلا خيراً)

هذه المقالة قالها معاذ بن جبل - رضي الله عنه - دفاعاً عن كعب بن مالك في قصة تخلفه عن غزوة تبوك، قال كعب: لما بلغ النبي ﷺ تبوك ذكرني وقال ما فعل كعب؟ فقال رجل من قومي: خَلَفَهُ يا نبي الله برده والنظر في عطفه. فقال معاذ بن جبل - وكان حاضراً فسمع -: «بئس ما قلت والله ما نعلم إلا خيراً»^(١).

أسمعت هذا الموقف، لقد كان بإمكان معاذ رضي الله عنه السكوت تأدباً أمام رسول الله ﷺ ولن يعيب عليه النبي ﷺ سكوته، ولكنه أعلن الحق الذي امتلأ به قلبه. لم يطق معاذ أن يسمع هذه الكلمات بأخيه كعب، فأعلن الحق

(١) هذا جزء من حديث كعب بن مالك في تخلفه عن غزوة تبوك وتوبته. أخرجه البخاري مطولاً برقم (٤٤١٨) وانظر أطرافه في حديث رقم (٢٣٠٧).

الذي في قلبه. انتصاراً لكعب بن مالك - رضي الله عنهما جميعاً - إنه الدفاع والذب عن عرض أخيه، فمن منا وقف مثل هذا الموقف؟ كم نسمع في مجالسنا وفي امتدياتنا من يذكر فلاناً وعلاناً من إخواننا من المسلمين ممن يصلي ويصوم ويشهد ألا إله إلا الله، نسمع الكلمات التي تُذكر في عرضه. فمن منا وقف مثل هذا الموقف؟ بل ربما أن البعض يتلذذ بالسماع، ويأنس بمثل هذه الكلمات - عياداً بالله - ولكن صحابة رسول الله تربوا على هذا المنهج، إنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «كل المسلم على المسلم حرام: عرضه، ودمه، وماله»^(١). فعلموا حرمة ذلك. وعن أبي الدرداء أيضاً عن النبي ﷺ قال: «من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة» كما أخرجه الترمذي^(٢) في سننه

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) رواه الترمذي برقم (١٩٣١) وقال حديث حسن قال الألباني: وهو كما قال «إن شاء الله» غاية المرام ص ٢٤٧ وصححه في صحيح الجامع برقم (٦٢٦٢).

في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الذب عن المسلم، وإسناده صحيح^(١).

- واسمع لهذا الموقف، قال حنبل بن إسحاق: سمعت ابن معين يقول: رأيت عند مروان بن معاوية لوحاً فيه أسماء شيوخ، فلان رافضي وفلان كذا ووكيع رافضي. فقلت - أي يحيى بن معين - لمروان: وكيع خير منك. قال مروان: مني؟! - استفهام تعجب - قلت: نعم. قال: فسكت. ولو قال لي شيئاً لو ثبت أصحاب الحديث عليه. قال - أي يحيى -: فبلغ ذلك وكيعاً فقال وكيع: يحيى صاحبنا. وكان بعد ذلك يعرف لي ويرحب^(٢).

انظر أثر الدفاع عن العرض في قلب وكيع - رحمه الله تعالى - أصبح يحيى بن معين حبيباً إلى قلبه، أصبح يرحب به كثيراً. هكذا يكون جمع القلوب. هكذا إذا أردنا أن نحجب

(١) صحيح الترمذي (١٨١/٢) للألباني.

(٢) ميزان الاعتدال (٣٣٦/٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥٤/٩) وعزاه محققه إلى تاريخ بغداد ٤٧٠/١٣.

النفوس بعضها ببعض . هكذا إذا أردنا أن نرص الصفوف في وجوه أعدائنا . أن يعلم كل فرد منا أنه محام عن أعراض إخوانه المسلمين في كل مكان . في أي مجلس كان وأمام كائن من كان مهما بلغ من المرتبة والشرف . مادام أنه تجرأ على عرض أخ من إخواننا المسلمين . يجب أن أقف وأذب عن عرض هذا المسلم ، هكذا يكون الإنسان محبوباً عند الناس ، لا ، بل هكذا يكون محبوباً عند الله قبل كل شيء ، ومن أحبه الله أحبه الناس .

الصورة الخامسة: (سررتيني سرّك الله)

ذكر الذهبي^(١) في السير بسنده إلى عوف بن الحارث أنه قال : سمعت عائشة تقول : دعنتي أم حبيبة - أي زوجة رسول الله ﷺ عند موتها - فقالت : قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك . فقلت - أي عائشة - غفر الله لك كله وحللك من ذلك فقالت أم حبيبة : سررتيني سرّك الله . تقول عائشة : وأرسلت أم حبيبة إلى أم سلمة . فقالت لها مثل ذلك^(٢) .

انظر تصافي القلوب بين أمهات المؤمنين ، ما أحلى هذه القلوب إذا اجتمعت على المحبة ، وحرصت على تنقية

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢١٨) .

(٢) طبقات ابن سعد (٨/١٠٠) ، والمستدرک للحاكم (٤/٢٢) -

القلوب من الغل والحقد والحسد.

أقول: كم نسمع نساءنا يتحدثن في المجالس عن فلانة وعلائة، ولربما كالت لها كثيراً من السب والشتم - عياداً بالله - إنها تتكلم عن مسلمة، وعائشة رضي الله عنها لما أشارت إلى رسول الله ﷺ، بيدها فقط عن صفة أنها قصيرة. قال: «ألا إنك قلت كلمة - أو فعلت فعلاً - لو مزج بماء البحر لمزجته^(١)». فقط تعني أنها قصيرة. فهلا تنبّه لهذا الأمر نساؤنا فكم من الحسنات تذهب، وكم من السيئات تكتب في مثل هذه الكلمات!!؟

(١) رواه أبوداود برقم (٤٨٧٥) والترمذي برقم (٢٥٠٢) وأحمد (١٨٩/٦) وصححه الألباني في غاية المرام رقم (٤٢٧) وفي صحيح الجامع.

الصورة السادسة: (إذن تقع في الشغل)

صورة قصيرة لكنها كبيرة المعاني. قال رجل لعمر بن العاص - رضي الله عنه -: «والله لأتفرغن لك». - يعني بالكيد والتشفي والانتقام وغير ذلك - فماذا كان رد عمرو؟ فقال عمرو بن العاص - بذكائه وعقله -: إذن تقع في الشغل - إذن تقع في الشغل.

ولاشك أن قول عمرو هو الصواب. ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١). كم نحب أن نسمع مثل هذه الكلمات. «إذن تقع في الشغل»؛ لأن القلب الذي امتلأ بالحسد والانتقام من الناس وتبع زلاتهم، والتشفي منهم، قلب مشغول دائماً. أما القلب السليم الذي امتلأ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

بسلامة الصدر، وحب الناس وجمع القلوب، فهو لا يفكر إلا فيما ينفعه: كطلب علم، أو عمل خير، ونحوهما. أما أعراض الناس فهو بريء منها؛ لأنه يخاف الله.

الصورة السابعة: (ما عرفني إلا أنت)

أيضاً موقف قصير ولكنه كبير بمعانيه، في سيرة سالم بن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهم - أن رجلاً زاحمه في منى - وأنتم تعلمون حال الناس في منى كيف يكون، وكيف تبلغ النفوس مبلغها في مثل هذه المواقف نظراً للزحام الشديد - أن رجلاً زاحمه في منى فالتفت الرجل إلى سالم - وسالم هذا علامة التابعين - رضي الله عنه - فقال الرجل لسالم: إنني لأظنك رجل سوء. فبماذا أجاب سالم رضي الله عنه؟ قال كلمتين. قال: ما عرفني إلا أنت^(١). سبحان الله! هكذا كان إزراؤهم بأنفسهم - رضوان الله عليهم - مع سعة علمهم، وكثرة عبادتهم، وجهادهم، وكثرة خوفهم

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٩٠).

وبكائهم من الله جل وعلا، - أما نحن فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله فلو ركعنا ركعة، أو دمعة العين دمعة، لرأينا أنفسنا أزهد الزهاد لا إله إلا الله! «ما عرفني إلا أنت» رحمك الله يا سالم.

الصورة الثامنة:

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(١)

ذكر الذهبي في السير^(٢) في ترجمة البخاري محمد بن إسماعيل صاحب الصحيح - رضي الله عنه - قال - أي الذهبي - وكان كثير من أصحابه يقولون له - أي للبخاري - : إن بعض الناس يقع فيك - لو قيلت هذه الكلمة لأحدنا ماذا سيقول؟! ربما يُبادر، ويقول مباشرة ماذا يقولون؟ ومتى؟ ومن هم؟ - أما الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - لما قيلت له هذه الكلمة (إن بعض الناس يقع فيك)، قال: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(٣)، ويتلو أيضاً

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/٤٦١).

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٦.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(١). هذا والله هو الفقه، وهذه هي البصيرة والحكمة، ولكن من يؤتى هذه البصيرة، ومن يؤتى هذه الحكمة؟! ولذلك إذا قلنا للناس تعلموا واقرؤوا في سير الرجال واستفيدوا منها. رأينا كثيراً منهم يعرض عن هذا، وما علم أولئك المساكين أن في النظر لحياة الأولين وتراجهم حياة للقلوب. فإذا سمعت الناس يفتابونك، أو يذكرونك بسوء فأنت أعلم بنفسك، وأعلم بما بينك وبين الله جل وعلا. فاعف عنهم واصفح، وسترى أثر ذلك ومن كاد لك، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

فقال عبدالمجيد بن إبراهيم البخاري: كيف لا تدعو الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتناولونك ويبهتونك؟! فقال البخاري: قال النبي ﷺ: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»^(٢). وقال أيضاً وقال رسول الله ﷺ: «من دعا على

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٣٣٠) وأطرافه في (٧٢٤٥) ومسلم برقم =

ظالمه فقد انتصر»^(١). إنه - رحمه الله - لا يفكر بمجرد الدعاء على من ظلمه وبهتة فضلاً على أن يشغل نفسه أو يضيع وقته في التقصي، وتتبع الزلات منهم. فرضي الله عن أولئك الأنقياء ورحمهم الله رحمة واسعة.

(١) رواه الترمذي برقم (٣٥٥٢) وضعفه الألباني في الجامع الصغير وعزاه إلى السلسلة الضعيفة له (٤٥٩٣).

الصورة التاسعة:

(إن كنت صادقاً فغفر الله لي)

ذكر الذهبي في السير^(١) قال: عن أبي يعقوب المدني أنه قال: كان بين حسن بن حسن، وبين علي بن الحسين - يعني زين العابدين - بعض الأمر. فجاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين زين العابدين، وهو جالس مع أصحابه في المسجد، فما ترك حسن شيئاً إلا قاله له. - يعني ما ترك سباً ولا شتماً إلا قاله لزين العابدين وهو جالس مع أصحابه - قال - أي أبي يعقوب المدني - قال: وعليّ ساكت. فأنصرف حسن. فلما كان من الليل أتاه في منزله. زين العابدين - ذهب إلى حسن بن حسن في الليل ففرع عليه بابه. فقال له:

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٣٩٧) وعزاه محققه إلى تاريخ دمشق لابن عساكر.

يا أخي إن كنت صادقاً فيما قلت لي، فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك، السلام عليكم.

هذا الموقف! وهل انتهى؟ لا، فانظر لنتيجة الصبر وحسن الخلق، قال: فإذا بالحسن يتبعه ويلزمه من الخلف، ويهكي بكاءً شديداً حتى رثى زين العابدين لحاله. فقال الحسن لزين العابدين: لا جرم لا عدت في أمر تكرهه فقال زين العابدين: وأنت في حل مما قلت لي.

إذا تشاجر في فؤادك مرة
أمران فاعمد للأعف الأجل
وإذا هممت بأمر سوء فأتد
وإذا هممت بأمر خير فافعل
إنه الصبر أيها الأحبة، إنه هضم النفس حتى ولو كان الحق معها، هكذا صفة الرجال وهكذا من أراد العلياء وعزة النفس.

طلقت تطليق الثلاث رغائبي
وكتبت للعلياء عقد نكاح

وانظر أيضاً لإنصاف الذهبي - رحمه الله تعالى - لابن حزم عندما ترجم له في السير^(١). قال الذهبي عن ابن حزم: قد أخذ المنطق أبعد الله من علم، عن محمد بن الحسن المذحجي، وأمعن فيه فزلزله في أشياء، ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبه في الحديث الصحيح ومعرفته به، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة، ولكن لا أكفره ولا أضلله وأرجو له العفو والمسامحة للمسلمين، وأخضع لفرط ذكائه وسعة علومه.

هكذا يكون المؤمن الذي يأتمر بأمر الله ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾^(٢). فهل سمع شبابنا مثل هذا الموقف، وهل اقتدى شبابنا غفر الله لنا ولهم بسلفنا الصالح - رضوان الله تعالى عليهم -.

أيها الشباب، أيها المسلمون:

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/٢٠١ - ٢٠٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

لا تبخسوا جهود بعضكم بعضاً، ولا تحقروا أعمال بعضكم لبعض، فكل منكم على ثغر، وكل منكم على خير، والميدان يتسع للجميع، بل هو بأمس الحاجة لكل عمل، لكل كلمة طيبة، لكل جهد وافق الكتاب والسنة. فهلاً سمعنا وعقلنا.

وانظر لهذا الموقف أيضاً وتدبره جيداً، فكم نحن بحاجة إليه. قال الذهبي: قال الحافظ ابن عبد البر في التمهيد: هذا كتبه من حفطي وغاب عن أصلي: أن عبد الله بن عبد العزيز العمري العابد كتب إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل، فكتب إليه مالك: أن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد. فنشر العلم أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر^(١).

(١) تاريخ الإسلام للذهبي حوادث (١٧١ - ١٨٠) ص ٣٢٩.

فيأشباب الأمة:

نحن بحاجة للجميع، فهذا يحفظ القرآن ويعلمه، وهذا يطلب العلم وينشره، وهذا يعظ الناس في المساجد والقرى، وهذا ينكر المنكرات في الأسواق وفي الأماكن العامة، وهذا على منبره، وذاك بقلمه، والآخر بماله، وهذا بتوزيع الشريط والكتاب، وذلك بتوزيع الطعام واللباس، وهذا بالرحلات والمخيمات، وهذا بالدعوات الصادقات. ولا يخلو الجميع أبداً من خطأ و«كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»^(١). فهذا يصحح لهذا وهذا يوجه هذا، وهذا يعين هذا بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة مع التماس الأعذار والعفو والصفح. هكذا يجب أن نكون، وهكذا يجب أن نتعامل، بل يجب أن ننشر في مجالسنا ومنتدياتنا هذه المفاهيم لدى الكبار والصغار والرجال

(١) هذا حديث أخرجه الترمذي برقم (٢٤٩٩) وأحمد (١٩٨/٣) وابن ماجه برقم (٤٢٥١) والدارمي (٣٠٣/٢) أربعتهم من حديث أنس، وحسنه الألباني في الجامع الصغير وفي المشكاة.

والنساء ليسرق أعداء الإسلام بتراص الصفوف وجميع القلوب، وبتوحيد الكلمة.

فإن قال قائل: لا. فنقول: إن لم تكن من هؤلاء فقل خيراً أو اصمت. واعلم يا أخي الحبيب: «أن المسلم: من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(١). فكف عن المسلمين لسانك ويدك، واتركهم يعملون، كل بما يستطيع، فالله جل وعلا مطلع على عبادته، وهو وحده يعلم ما تكن القلوب.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٤، ١٠) ومسلم برقم (٤١) وأحمد (١٦٣/٢، ١٩٢، ١٥٤/٣) عن أنس، وعبدالله بن عمرو.

الصورة العاشرة والأخيرة:

(لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة)

قال أبو الربيع محمد بن الفضل البلخي: سمعت يحيى بن معين يقول: إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة من أكثر من مائتي سنة. قال ابن مَهْرَوَيْه: فدخلت على عبدالرحمن بن أبي حاتم وهو يقرأ على الناس كتاب الجرح والتعديل، فحدثته بهذا. فبكى وارتعدت يده حتى سقط الكتاب من يده وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية^(١).

سبحان الله، والله إن العين لتدمع ونحن نقرأ مثل هذه المواقف. بكى رضي الله عنه وأرضاه لماذا؟ يقول الذهبي معلقاً على هذا الموقف: أصابه على طريق الوجل وخوف العاقبة، وإلا فكلام الناقد الورع في الضعفاء من النصيح لدين الله والذب عن السنة. ١. هـ

(١) سير أعلام النبلاء (٩٥/١١).

وهذا مطلوب منه يؤجر عليه، ومع ذلك ترتعد يده، ويبكي - رضي الله تعالى عنه -؛ لأنه تكلم في رجال لأمر واجب. فماذا نقول ونحن في المجلس، بل ربما في الساعة الواحدة نتكلم عن عشرات الناس. ماذا نقول ونحن نسمع كثيراً من إخواننا - عفا الله عنهم وغفر لهم - وما يذكرونه في كثير من المشايخ والعلماء وطلبة العلم والصالحين؟! سبحان الله ما وجدنا إلا هؤلاء نخوض في أعراضهم ونتكلم عنهم؟! أين أنت عن المنافقين، وأين أنت من اليهود ومن النصارى، وأين أنت من أعداء الدين الذين يكيدون للدين ليلاً ونهاراً.

رحم الله ابن المبارك يوم أن جاءه ذلك الرجل فذكر له قولاً في إخوانه. فقال له ابن المبارك: «عجباً سلم منك اليهود والنصارى، ولم يسلم منك إخوانك» كلمات تكتب بمداد الذهب.

وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسام

● تكامل الشخصية في حياة السلف رضوان الله تعالى عليهم:

في العنصر السابق تكلمنا عن صور ومواقف متناثرة، وإليك في هذا العنصر وقفة سريعة لحياة علمين فاضلين. فإذا نظرت لحياة هؤلاء الرجال وجدتها مدرسة في جميع الجوانب: في العلم، في الجهاد، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في العبادة، في الحرص على النوافل، في الخوف من الله، في الزهد، في الورع، في التواضع، في حسن الخلق، في كل شيء.

حدث بما شئت من حلم ومن كرم

وانشر مآثرهم فالباب متسع

أما اليوم، فتعال وانظر لحالنا، فظاهرها الصلاح وقد نحسب في القدوات والسادات، والله وحده أعلم بسرائرنا. نعجب بأقوالنا وأفعالنا وأحوالنا وانتصارنا لأنفسنا وتصدرنا وعُجبنا بذواتنا، وإذا وقفت مع حالنا مع النوافل والطاعات، أصابتك الحسرات والآهات، وقل مثل ذلك في

طلبنا للعلم، وفي أمرنا ونهينا للمنكر، وإهمالنا لقلوبنا، رحلنا على الآخرين وجرحهم ونبزهم، وأستغفر الله أن أعلم، ولكن كل منا أعلم بنفسه ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(١)، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٢).

أخي الحبيب:

تعال أقف وإياك للنظر في جانب سلامة الصدر فقط، وطهارة القلب في حياة هذين الرجلين في أكثر من موقف في حياتهما، إنهما: الإمامان أحمد بن حنبل، وابن تيمية - رحمهما الله تعالى - جميعاً. ففي حياتهما مثل أعلى للعاملين، والدعاة المصلحين، والعباد المخلصين. فمع كثرة الأذى لهما والنيل منهما وسجنهما وجلدهما، والتعرض للفتن، بل وللتكفير والتفسيق والتبديع - عياداً بالله - ومع ذلك كله فاقراً وتفكر لتعرف مَنْ أنت أيها المسكين، اقرأ وصارح

(١) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

نفسك وكن لها من الناصحين، فأنت إذا رماك أحد بتهمة ما تركت صغيرة ولا كبيرة إلا وذكرتها في قائلك.

ذكر عبدالغني المقدسي في كتابه محنة الإمام أحمد^(١) بسنده إلى أبي علي حنبل قال: حضرت أبا عبدالله - أي أحمد بن حنبل - وأتاه رجل في مسجدنا وكان الرجل حسن الهيئة كأنه كان مع السلطان. فجلس حتى انصرف من كان عند أبي عبدالله، ثم دنا منه؛ فرفعه أبو عبدالله لما رأى من هيئته. فقال الرجل يا أبا عبدالله اجعلني في حل. قال أحمد: من ماذا؟! قال: كنت حاضراً يوم ضربت وما أعنتُ وما تكلمتُ إلا أني حضرت ذلك. فأطرق أبو عبدالله، ثم رفع رأسه إليه، فقال: أحدث الله توبة ولا تعد إلى مثل ذلك الموقف. فقال له: يا أبا عبدالله أنا تائب إلى الله تعالى من السلطان. قال له أبو عبدالله: فأنت في حلٍّ وكل من ذكرني، إلا مبتدع. قال أبو عبدالله: وقد جعلت أبا إسحاق^(٢) في

(١) محنة الإمام أحمد، لعبدالغني المقدسي ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) أبو إسحاق: هو المعتصم خليفة المسلمين وقد أذن بضرب الإمام =

حل. ورأيت الله عز وجل يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(١). وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قضية مسطح. ثم قال أبو عبدالله: العفو أفضل^(٢). وما ينفعك أن يُعَذَّب أخوك المسلم بسببك، لكن لتعف وتصفح عنه، فيغفر الله لك كما وعدك.

أيها الأخ:

إن سمعت أحداً قال فيك قولاً أو حتى آذاك، فلا شك أن النفس ببشريتها تغضب وتفكر في الانتقام، لكن اعلم أن صدق الأخلاق لا يظهر إلا في المواقف العصبية الشديدة. أما في المواقف الهينة اللينة فلا فخر ولا فضل.

ساق المقدسي - رحمه الله - بسنده إلى أبي علي الحسين بن عبدالله الخرافي قال: بت مع أحمد بن حنبل ليلة. فلم أره ينام إلا يبكي إلى أن أصبح. فقلت: يا أبا عبدالله كثر بكأؤك

أحمد وتعذبه.

(١) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٢) وانظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢٢١.

الليلة، فما السبب؟ قال أحمد: ذكرت ضرب المعتصم إياي ومَرَّ بي في الدرس قوله تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سِنِينَ سَنَتَهُ مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١). فسجدت وأحللته من ضربي في السجود^(٢). رحم الله الإمام أحمد، إمام أهل السنة والجماعة.

هكذا الإيمان يصنع الأعاجيب، فالقلوب المؤمنة التي تحب نشر الخير والإصلاح، لا تعرف الحقد والحسد والانتقام حتى وإن كانت مظلومة.

وذكر ابن رجب في طبقات الحنابلة عن أبي محمد فوزان قال: جاء رجل إلى الإمام أحمد فقال له: نكتب عن محمد بن منصور الطوسي؟ فقال: إذا لم تكتب عن محمد بن منصور فعمن يكون ذلك؟ قالها مراراً. فقال الرجل: إنه يتكلم فيك. فقال أحمد - رحمه الله تعالى -: رجل صالح ابتلي فينا

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٢) محنة الإمام أحمد ص ١٦٠.

لما نعمل؟^(١).

وما أعجب مواقف الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى -. اقرؤوا هذا الكتاب «محنة الإمام أحمد بن حنبل»^(٢) وانظروا مواقفه مع من عاداه، ومع من ضربه، ومع من سبه وشتمه. فرحم الله الإمام أحمد.

أصحى ابن حنبل محنة مأمونة
وبحب أحمد يعرف المتنك
لإذا رأيت لأحمد مستنقصة
فاعلم بأن ستوره ستتهك^(٣)

- ومن مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - مع مخالفيه، بالرغم من إيذائهم له وتعديهم عليه بالباطل، إلا أنه لم يقابل ذلك - رحمه الله تعالى - إلا بالإحسان. فهذا هو

(١) طبقات الحنابلة ١/ ١٩٥ - ١٩٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣١٧ قال: أبوكريب.

(٢) لعبد الغني المقدسي.

(٣) قالها ابن أعين كما في تاريخ دمشق، وفي مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٤٩٥ - ٤٩٦.

يقول في الفتاوى: «وأنا والله من أعظم الناس معاونة على إطفاء كل شر فيها وفي غيرها»^(١) وإقامة كل خير. وابن مخلوف^(٢) لو عمل، مهما عمل والله ما أقدر على خير إلا وأعمله معه، ولا أعين عليه عدوه قط، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذه نيتي وعزمي، مع علمي بجميع الأمور، فإني أعلم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين، ولن أكون عوناً للشيطان على إخواني المسلمين»^(٣) ١. هـ

ويقول أيضاً في موضع آخر: «هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدى حدود الله في بتكفير، أو تفسيق، أو افتراء أو عصبية جاهلية: فأنا لا أتعدى حدود الله فيه،

(١) يعني: في الفتنة التي حصلت فيه وقته.

(٢) ابن مخلوف هذا قال عنه شيخ الإسلام: هو عدوي. ولما بلغه أن الناس يترددون إلى ابن تيمية في سجنه قال ابن مخلوف عن ابن تيمية: يجب أن يضيق عليه إن لم يقتل، وإلا فقد ثبت كفره. [الدرر الكامنة لابن حجر (١/١٥٦ - ١٥٧). البدر الطالع للشوكاني (١/٦٧)].

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٢٧١).

بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤثماً بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس، حاكماً لما اختلفوا فيه.^(١)

ويقول رحمه الله أيضاً: «فلا أحب أن يُنتصر من أحد بسبب كذبه عليّ أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسه، والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي، وأما ما يتعلق بحقوق الله فإن تابوا تاب الله عليهم وإلا فحكم الله نافذ فيهم. فلو كان الرجل مشكوراً على سوء عمله، لكنت أشكر كل من كان سبباً في هذه القضية لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة، ولكن الله هو المشكور على حسن نعمه وآلائه وأياديه التي لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له»^(٢) انتهى كلامه رحمه الله.

ويقول ابن القيم عن شيخه ابن تيمية - رحمه الله تعالى -:

(١) المصدر السابق (٣/٢٤٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٥/٢٨).

«وما رأيت أحداً قط أجمع لهذه الخصال - يعني سلامة الصدر وتنقية القلب والعفو عن الناس - من شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد قط، بل كان يدعو لهم. وجئته يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه وأشدّهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم. وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه - ونحو هذا من الكلام - فسُرُّوا ودعوا له وعظموا هذه الحال منه - رحمه الله ورضي الله عنه - (١)»

ردد عليّ حديثهم يا حادي

فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي

هكذا هم رضوان الله تعالى عليهم في مواقفهم، وفي حياتهم، وفي أحوالهم مع من عاداهم، أو حتى كفرهم أو

(١) مدارج السالكين (٢/٣٤٥).

فستقهم أو بدّعهم أو آذاهم. هكذا تكون القلوب المؤمنة المتعلقة بالخائفة الراجية من الله العفو والصفح، والتي تحب النصيح للأمة وتنظر للدنيا أنها دار ممر لا دار مقر، هكذا العلم وأثره في القلوب المخلصة الصادقة نسأل الله الكريم من فضله.

أخيراً:

نتائج سلامة الصدر وآثاره

لو لم يكن من آثار سلامة الصدر وتنقية القلب إلا أنه سبب لدخول الجنة - كما ذكرنا في حديث أنس^(١) لكفى، فإن سلامة الصدر من أعظم أسباب دخول الجنة.

قال ابن القيم: «وها هنا للعبد أحد عشر مشهداً فيما يصيبه من أذى الخلق وجنائتهم... ثم قال: المشهد الثالث: مشهد العفو والصفح والحلم، فإنه متى شهد ذلك وفضله وحلاوته وعزته، لم يعدل عنه إلا لعشئ في بصيرته، فإنه «ما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً» كما صح ذلك عن النبي ﷺ^(٢). وعُلم بالتجربة والوجود، وما انتقم أحد لنفسه إلا

(١) وهو حديث «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة...» أخرجه أحمد وغيره وقد سبق.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨) والترمذي برقم (٢٠٢٩) بلفظ

ذل. هذا وفي العفو والصفح والحلم من الحلاوة والطمأنينة والسكينة وشرف النفس وعزها ورفعتها عن تشفيها بالانتقام ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام^(١).

ويقول أيضاً رحمه الله تعالى في المشهد السادس: مشهد السلامة وبرد القلب، وهذا مشهد شريف جداً لمن عرفه وذاق حلاوته، وهو ألا يشتغل قلبه وسره بما ناله من الأذى وطلب الوصول إلى درك ثأره وشفاء نفسه، بل يفرغ قلبه من ذلك، ويرى أن سلامته وبرده وخلوه منه أنفع له وألذ وأطيب وأعون على مصالحه، فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه، فيكون بذلك مغبوناً، والرشيد لا يرضى بذلك، ويرى أنه من تصرفات السفه، فأين سلامة القلب من امتلائه بالغل والوسواس وإعمال الفكر في إدراك الانتقام^(٢).

«رجلاً» كلاهما من حديث أبي هريرة.

(١) مدارح السالكين (٢/٣١٨، ٣١٩).

(٢) المصدر السابق ٢/٣٢٠.

ثم أثر آخر ونتيجة أخرى من نتائج تنقية القلب من الغل والحسد وهي: لو لم يكن في هذا القلب كما أشار ابن القيم - رحمه الله - إلا الطمأنينة والأمن وراحة البال لصاحبه، لكفى به شرفاً ونتيجة. فصاحب القلب الخالي من الأحقاد والظنون يتفرغ لمصالحه وشئونه. قال زيد بن أسلم: «دُخل على أبي دجانة - رضي الله تعالى عنه - وهو مريض وكان وجهه يتهلل فقليل له: ما لوجهك يتهلل. فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني. والأخرى: كان قلبي للمسلمين سليماً»^(١).

ويقول سفيان بن دينار: قلت لأبي بشر وكان من أصحاب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أخبرني عن أعمال من كان قبلنا. قال: «كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً. قال: قلت: ولم ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم»^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء (١/٢٤٣).

(٢) أخرجه هناد في كتاب الزهد (٢/٦٠٠) برقم (١٢٧٥).

وذكر ابن رجب في كتابه جامع العلوم^(١). قال الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى -: لم يدرك من عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة.

(١) جامع العلوم والحكم (١/٢٢٥) رقم الحديث (٧) الرسالة.

الأسباب التي يجيء منها حقد القلب أو نفرتة

أسباب امتلاء الصدر وغل القلب تنقسم قسمين :
أسباب مباشرة، وأسباب غير مباشرة .
- فمن الأسباب المباشرة : وعلى رأسها الشيطان ، فإن
الفرقة والخلاف وملء الصدور بالشحناء وضيق الصدر غاية
من غاياته . كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه
كتاب المنافقين باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة
الناس وأن مع كل إنسان قريناً - من حديث جابر - رضي الله
عنه - أنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «إن الشيطان قد
أيس أن يعبد المصلون في جريرة العرب ، ولكن في التحريش
بينهم»^(١) . - أي بالخصومات بالشحناء والحروب والفتن
وغيرها .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٢) وأحمد (٣/٣١٣ ، ٥/٧٣) والترمذي برقم (١٩٣٧) .

ومن نظر لحال المسلمين اليوم ، عرف كيف يكون
التحريش من الشيطان .
وسبب ثان مباشر وهو : أمراض القلوب بأنواعها بدءاً
بسوء الظن والنجوى والحسد والغرور والهوى وحب
التصدر وغيرها . وجماع ذلك : الغفلة عن القلب وإهماله .
ونشكو إلى الله حالنا مع قلوبنا وإطلاق العنان لها . فإننا
بهتم بمظهرنا ومركبنا وأكلنا وشربنا ، ونغفل كثيراً عن
قلوبنا فتجتمع عليها النكت نكتة نكتة حتى يصبح القلب
أسوداً مريداً كالكوز مخجياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر
منكراً^(١) - والعياذ بالله - .

فخذ مثلاً ، سوء الظن وهو : ترجيح ما يخطر في النفس
من احتمال السوء . ويبدأ سوء الظن بخاطرة تنقدح في
الذهن ثم لا يزال الشيطان ينفخ فيها حتى يُنزلها منزلة
الحقيقة فنقول مثلاً : فلان يريد كذا ، ويقصد من كلامه كذا

(١) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (١٤٤) وأحمد
(٥/٣٨٦ ، ٤٠٥) .

فدخلنا في النوايا والمقاصد .

وما أجمل قول محمد بن سيرين - رحمه الله تعالى - : إذا بلغك عن أخيك شيء ، فالتمس له عذراً ، فإن لم تجد له فقل : لعل له عذراً لا أعلمه^(١) .

- أما الأسباب غير المباشرة :

أولاً : الاختلاف في وجهات النظر وطريقة سير العمل . فقد يؤدي الخلاف في الآراء ، والتصورات إلى اختلاف القلوب وجفوتها وامتلائها بالشحناء ، فليس شرطاً أخى الحبيب : أن يوافقك الناس بكل ما تريد . فإما أن توافقتي وإلا فأنت عدوي ، وأنت معي ، وإلا فأنت ضدي .

ذكر الذهبي في السير قال : قال يونس الصدي : ما رأيت أعقل من الشافعي ، ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا ، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال : يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً ، وإن لم نتفق في مسألة^(٢) .

(١) التوبخ والتنبه للأصبهاني ص ١٢٨ رقم (٩٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/١٠) وعزاه المحقق إلى تاريخ ابن =

انظروا للنفوس ألا يسعنا ما وسعهم ؟!

وقال أحمد بن حفص السعدي شيخ ابن عدي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق ، وإن كان يخالفنا في أشياء ، فإن الناس مازال يخالف بعضهم بعضاً^(١) . هكذا كانوا - رحمهم الله تعالى - إذا فاختلاف في المسألة الفرعية لا يفسد للود قضية أبداً . فقد كان يعذر بعضهم بعضاً فيقول : لعل له تأويلاً ، ويقول : لعل ذلك الحديث لم يبلغه . أو لم يصله أو غير ذلك من الأعذار^(٢) .

قال الذهبي في السير : «مازال الأئمة يخالف بعضهم بعضاً ، ويرد هذا على هذا ، ولسنا ممن يذم العالم بالهوى والجهل .

= عساكر .

(١) سير أعلام النبلاء ٣٧١/١١ وقرأ تعليق المحقق على القصة وانظر «النصيحة والتعير» لابن رجب ص ٣١ .

(٢) انظر - إن شئت - رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

ثانياً: التنافس. ولا شك أن التنافس أمرٌ محمودٌ، لكنه قد يتعدى إلى الحسد والغل على الآخرين خاصة بين الأقران. ولذلك يقول الذهبي: «استفق ويحك وسل ربك العافية، فكلام الأقران بعضهم في بعض أمر عجيب وقع فيه سادة فرحم الله الجميع». ويقول أيضاً: «كلام الأقران يُطوى، ولا يُروى». ويقول أيضاً: «كلام الأقران بعضهم في بعض يُحتمل، وطيه أولى من بثه، إلا أن يتفق المعاصرون على جرح شيخ فيعتمد قولهم»^(١).

ليس هذا الكلام على إطلاقه، فهناك من الأقران من يهتم بقرينه، بل ويفضله على نفسه، فهذا هشام بن يوسف يقول: كان عبدالرزاق أعلمنا وأحفظنا^(٢).

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٧/٤٠-٤١، ١٤٣ و ١٠/٩٢-٩٤ و ١٢/٥٠١-٥٠٢ و ١٤/٤٢) وميزان الاعتدال (١/١١١) وللاستزادة انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/١٥٦-١٥١).

(٢) تهذيب الكمال للمزي (١٨/٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٩/٥٦٦).

فهذه صورة جميلة لحال الأقران المنصفين بل وهناك صور كثيرة، والله الحمد والمنة.

ثالثاً: التناصح! وكيف يكون التناصح سبباً للحسد والحق؟! فبعض الناس لا يحتمل النصيحة، فيبدأ بالكيد للتناصح والتفتيش عن عيوبه وبثها. مع أنك حرصت على أن تكون الوسيلة صحيحة: بانفراد، وبينك وبينه، وبالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، ومع ذلك وَجَدَ في نفسه شيئاً عليك، ولا يزال يتحرى ويبحث عن أخطائك؛ حتى يرد الصاع صاعين كما يقال.

رابعاً: التجارة والبيع والشراء والتعامل مع الآخرين. «ورحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى وإذا اقتضى»^(١).

(١) رواه البخاري برقم (٢٠٧٦).

كيف السبيل لسلامة الصدر

أولاً: أن تدعو الله بصدق وإلحاح أن يرزقك قلباً سليماً محباً للآخرين. فقد كان من دعائه ﷺ: «اللهم إني أسألك قلباً سليماً»^(١). وردد يا أخي الحبيب ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٢).

واسأل الله حسن الخلق. . فإن العبد ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم»^(٣) وما وصل أولئك الرجال إلى ما

- (١) رواه النسائي (١٣٠٤) والترمذي (٣٤٠٧) وأحمد (١٢٣/٤)، (١٢٥) عن شداد بن أوس بلفظ «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر. . واسألك قلباً سليماً».
- (٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.
- (٣) أخرجه أبوداود برقم (٤٧٩٧) وأحمد ٩٤/٦، ٩٠ (١٨٧) والحاكم ٦٠/١ وابن حبان (٤٨٠) عن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن عائشة بلفظ: (إن المؤمن ليدرك بحسن الخلقة درجة =

وصلوا إليه إلا بسخاء الأنفس وسلامة الصدر والنصح للأمة. كما ذكرنا آنفاً. فاحرص على الدعاء لإخوانك. وما أجمل العفو. فقل قبل منامك: اللهم إني قد عفوت عنه لوجهك الكريم، ما أجمل أن تردد هذه الكلمات في نفسك كل ليلة. فإذا نمت، نمت بقلب سليم وإذا مت، مت بقلب سليم. ثم أتبع هذه الكلمات بقولك: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»^(١). أسألك بالله يا أخي الحبيب هل ستكون أحلم من الله جل وعلا فكما عفوت أنت عن خلقه فسيغفوا الله عنك إن شاء الله. ثقة بالله. فالله أحلم وأعظم وأكرم. فاعف عن عباد الله يعف

- = الصائم القائم) وصححه الألباني في السلسلة (٧٩٥). وهو منقطع. قال أبو حاتم عن المطلب: «روايته عن عائشة مرسله ولم يدركها».
- (١) هذا ما أرشد إليه النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها عندما سألته قائلة: أرايت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال قولي: اللهم...» أخرجه الترمذي برقم (٣٥١٣) وابن ماجه برقم (٣٨٥٠) وأحمد (١٨٣/٦، ٢٥٨).

الله عنك، طهر قلبك من الحقد والغل على الآخرين، تجد أن الله سبحانه وتعالى يحفظك ويوفقك ويُعلي درجتك.

ثانياً: احذر الغفلة عن القلب وراقبه مراقبة جيدة. واعلم أن تنقية القلب من الغل والحقد يحتاج إلى ترويض نفس، وطول مجاهدة ومراقبة. فإذا وجدت في قلبك على أحد، فابحث عن الأسباب، وصارح نفسك، ولا تستجب لباعث الهوى فيها. وعليك بهضم النفس، وأسأل الله العون والتوفيق.

ثالثاً: أحسن الظن بالآخرين، والتمس لهم الأعذار. فإن لم تجد فقل لعل لأخي عذراً لا أعلمه.

قيل إن أبا إسحاق نزع عمامته يوماً وكانت بعشرين ديناراً وتوضاً في دجلة فجاء لص فأخذها وترك عمامة رديئة بدلها، فطلع الشيخ فلبسها وما شعر حتى سألوه وهو يدرس في درسه؟ فقال: لعل الذي أخذها محتاج!

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعنا ياجريز المجامع

رابعاً: الصبر والتحمل. فإن الاحتمال مقبرة المتاعب، وتمثل قول الشاعر:

إذا أدمت قوارصكم فؤادي
صبرتُ على أذاكم وانطويتُ
وجئت إليكم طلق المحيا
كأنني ما سمعتُ ولا رأيتُ

خامساً: العفو والصفح ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١). ومن علامته كما ذكرنا الدعاء لإخوانك خاصة من كان بينك وبينه جفوة أو شحنة. حاول أن تدعوه، مع أنني أعلم أن هذا لا يطاق. لكن جرب، وحاول أن تدعو لإخوانك، وأرغم نفسك والشیطان على الدعاء لهم بالرحمة والمغفرة والتوفيق والهداية. وكما يقول عبدالله بن أحمد: ربما سمعت أبي في السحر يدعو لأقوام بأسمائهم^(٢).

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٢) انظر أعلام النبلاء (١١/٢٢٣)، ومناقب الإمام أحمد لابن =

وإني لأعجب أن ينام المسلم ملء جفنيه وبينه وبين أخيه شحناء أو جفوة، وقد تأتيه المنية تلك الليلة، وما أجمل قول المقنع الكندي:

وإن الذي بيني وبين بني أبي
وبين بني عمي لمختلف جداً
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم
وإن هم هووا غيبي هويت لهم رشداً
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس كريم القوم من يحمل الحقداً

الجوزي ص ٢٨٦، ومناقب الشافعي للبيهقي (٢/٢٥٤).

ثلاثة قبل النهاية

أولاً: إن ما تقدم لا يعني أننا ننهي عن تصحيح الأخطاء وتقويم الآراء، ونأمر بالتغاضي عن الزلات وعدم التنبيه عليها وتقويم الآراء، بل إننا نطالب بذلك، ولكن بالضوابط الشرعية المقدرة عند سلفنا الصالح وعلمائنا الأفاضل رحمهم الله. وليكن القصد الوصول للحق، لا الانتصار للنفس والهوى.

ثانياً: هذا الموضوع رسالة إليكم جميعاً، وإلى العلماء، وإلى طلاب العلم، والمدرسين، والآباء والمربين، وجميع من يعينهم الأمر. فلنحرص على تربية الشباب وتربية الأجيال، وتربية النفوس على صفاء النفس وطهارة القلب، وسلامة الصدر، وصدق العمل، وإخلاص النية لله فيه. وإن أهم أساليب التربية هي القدوة الحسنة.

ثالثاً: إن هذا الموضوع دعوة عامة لطهارة القلب وسلامة الصدر، وصفاء النفس فهو أمانة عند كل من قرأه، لنشره

وبثه بين الناس في جميع طبقاتهم ومختلف أحوالهم، لنشر مثل هذا الموضوع، ولتحدث عنه كثيراً؛ ليحصل الحب والمودة وجمع القلوب، وتوحيد الكلمة بين المسلمين، فيُشْرِقَ بذلك أعداء الإسلام من المنافقين وغيرهم.

فبادر بنشره، وليكن حديث مجالسنا ومدارسنا وأسواقنا، ورب مبلغ أوعى من سامع.

اللهم إني بلغت اللهم فاشهد، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين، ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين.

هذا ما كتبت يميني فما كان فيه من صواب فمن الله فله الحمد والشكر، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي الضعيفة وأستغفر الله منه وأتوب إليه.

سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك اللهم وأتوب إليك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
لماذا الحديث عن الأنقياء وسلامة الصدر؟	١٠
ماذا نريد؟	١٢
ثلاثة قبل البداية	١٥
صورة مشرقة في عالم الصفاء والنقاء	٢٢
الصورة الأولى: (وهي التي لا تطاق)	٢٢
الصورة الثانية: (أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟)	٢٧
الصورة الثالثة: (ما عندي إلا عرضي)	٣٠
الصورة الرابعة: (بئس ما قلت والله ما نعلم إلا خيراً)	٣٣
الصورة الخامسة: (سررتيني سرّك الله)	٣٧
الصورة السادسة: (إذن تقع في الشغل)	٣٩
الصورة السابعة: (ما عرفني إلا أنت)	٤١
الصورة الثامنة: (ولا يحق المكر السيء إلا بأهله)	٤٣
الصورة التاسعة: (إن كنت صادقاً فغفر الله لي)	٤٦
الصورة العاشرة والأخيرة: (لعلهم قد خطوا رحالهم في الجنة)	٥٢